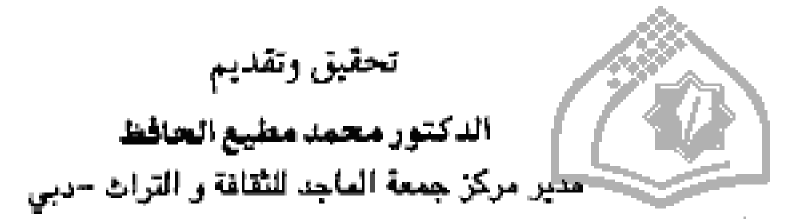
توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح

تحقيق وتقديم

الدكتور محمد مطيع الحافظ

مدير مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث - دبي



خلال رحلتي العلمية إلى المغرب صيف عام ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م وقعت في الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط على مخطوطة صغيرة عنوانها: «توالي المِنَح في أسماء ثمار النخل ورُتبة البلح» من تأليف بدرالدين محمد بن يحيى القرافي، تقع في ثلاث ورقات [٤١ - ٤٣] ق، ضمن مجموع برقم ٧٢٤٨، نسخها بخط مغربي سنة ١٠٢٤ هـ أحمد بابا ابن أحمد وهي قريبة عهد من المؤلف.

شغفت بالرسالة فأحببت أن أخرجها لطرافة موضوعها، إذ لم يفرد اللغويون هذا الموضوع بالتأليف، مثلما أفردوا الموضوعات المعروفة في أوائل تدوين اللغة، مثل كتب خَلْق الإنسان لابن قتيبة، وابن فارس، والأصمعي، وأبي عبيدة، والزَّجّاج، وثابت، وكتاب المطر لأبي زيد، وكتاب الإبل، وكتاب النبات والشجر وكلاهما للأصمعي، وغيرها من الرسائل المفردة للموضوع الواحد.

بيد أن ابن سيدة تناول موضوع ثمار النخل في «المخصص» على طريقته وبأسلوبه الذي سار عليه في الكتاب. وأشار الثعالبي إلى ثمار النخل وترتيب حملها على نحو موجز في كتابه المعروف فقال: «مجمل في ترتيب حمل النخل: أطلَعَت، ثم أبلَحَت، ثم أبْسَرت، ثم أزْهَتْ، ثم أرْطَبت، ثم أثمرت» ووقف عند ذلك.

والرسالة التي نحن بصددها تتعلق بثمار النخل وحسب، فيذكر المؤلف أسماءه فيها بالتفصيل ويورد اختلاف اللغويين والفقهاء فيها ويتدرج بها من حين يكون الثمر فجًّا إبّان ظهوره حتى نهاية نضوجه؛ ويحاول



الوصول إلى نتيجة علمية للتوفيق بينهم في هذا الخلاف.

وللعناية بالنصّ رجعت إلى المعجمات التي ذكرها المؤلف للتوثيق وضبط اللغة، مشيراً باقتضاب إلى تراجم أصحابها مع شهرتهم، رغبة في بيان تواريخ وفياتهم لمعرفة متقدمهم من متأخرهم، الأمر الذي يهمنا في ترجيح الآراء والإشارة إلى من سبق فيها.

مؤلف الرسالة

الإمام بدرالدين محمد بن يحيى بن عمر بن يونس القرافي المصري المالكي. ولد في شهر رمضان من سنة ٩٣٩ هـ/ ١٥٣٣ م، ونشأ برعاية والده، وأخذ عنه الفقه، وعن الشيخ عبدالرحمن الأجهوري، والشيخ زين الدين الجيزي. سمع الحديث من الجمال يوسف ابن القاضي زكريا الأنصاري، والنجم الغيطي، والصالح البكري وغيرهم. تولى عدداً من الوظائف، منها قضاء المالكية، وبقي فيها نحواً من خمسين سنة.

ذكر مترجموه أنه كان شيخ المالكية ورئيس العلماء في عصره، وأحد صدور العلم في وقته، كما ذكروا أنه لغوي شاعر ناثر مشهور.

أدركته الوفاة نهار الخميس في الثاني والعشرين من رمضان سنة ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م، وترك عدداً من المؤلفات التي تدل على فضله وعلو مقامه. منها «شرح رسالة ابن الحاجب»، «توشيح الديباج وحلية الابتهاج» (وهو ذيل الديباج لابن فرحون)، «شرح الموطأ»، «شرح التهذيب»، «التحرير الفريد في تحقيق التوكيد والتأكيد»، «رسالة في جواب سؤال رفع إليه في الوقف»، «بهجة النفوس بين الصحاح والقاموس»، «تحقيق الإبانة في صحة إسقاط مالم يجب من الحضانة»، «عطاء الجليل في شرح مختصر خليل»، «القول المأنوس بتحرير مافي القاموس»، «مجموع رسائل في الفقه»، «توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح»، «الدرر المنيفة في الفراغ عن الوظيفة»(١).

توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح للعبد الفقير بدرالدين القرافي المالكي من ذرية العارف ابن أبي جمرة نفعنا الله به.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من أقام به لواء الحق ومجده. وبعد، فهذه رسالة سميتها بـ «توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح» دعاني إلى ذلك مَنْ له حق الولاية، ومزيد العناية، ووافر الرعاية، وقلت داعياً لجنابه: [من الرجز].

دامَ عماداً لذوي الفَضْـلِ علـى
مرِّ الدُّهورِ مُوْلياً خَيْرَ مِنَحْ
تُجْنى ثِمـارُ الفَضْلِ مِنْ أشجارِه
رُطَباً جَنِيّاً بَعْدَ بُسْرٍ وبَلَـحْ

وذلك عندما جرى الكلام في عبارة القاموس(٢) وأن فيها تخالفاً في هذا المقام وبالله التوفيق:

قال في الصحاح(٣): «البَلَحُ قَبْلَ البُسْرِ، لأنّ أوّلَ الثَّمرِ طَلْعٌ، ثم خَلالٌ، ثُم بَلَحٌ، ثم بُسْرٌ، ثم رُطَبٌ، ثم تَمْر، الواحدةُ بَلَحَةٌ».

ونحوه قول صاحب القاموس فيه(٥): «مُحرّكة: بين الخَلال والبُسْر».

ومؤدّى كلامهما أن الخَلال رتبةٌ سابقة على البلَح.

ووقع في القاموس في باب اللام مايُخالف ذلك، إذ قال(٦): «وخَلال كسحَاب: البَلَح، وفيه تَجَوُّز. وقد نقل الشيخ أبو الحسن الشاذلي(٧) في شرح لغات مختصر الشيخ خليل عن أهل اللغة: «إنّ رُتبته أعني البَلح قبل البُسْر، وبعده الخَلال». كما هو في الصحاح والقاموس في باب الحاء ونصه: «البُسْر بضم الباء وهو المُنْصِّف بضم الميم وفتح النون وكسر الصاد المهملة المشدودة، واحدته بُسْرَة بإسكان السين وضمها».

قال أهل اللغة: «أولُ تمر النخل طَلْع، وكافور، ثم خَلال بفتح الخاء المعجمة واللام المخففة، ثم بَلَح، ثم بُسْر، ثم رُطَب، ثم تَمر».

ولم يذكر في القاموس أيضاً(٨) البَلَحَ في باب الراء عندما تكلم على البُسْر ونصه هناك(٩): «وقول الجوهريّ: أولُ البُسْر طَلْع ثم خَلال إلى آخره غيرُ جيد. والصواب(١٠): أوله طَلْع فإذا انعقد فسَيابٌ، فإذا اخضرّ واستدار فجَدالٌ وسَرادٌ وخَلالٌ، فإذا كبِرَ شيئاً فَبَغْوٌ فإذا عَظُم فَبُسْر، ثم مُخَطَّم، ثم مُوَكِّتٌ، ثم تُذْنُوبٌ، ثم جُمْيسَة(١١). ثم ثَعْدَةٌ وخَالع وخَالِعةٌ، فإذا انتهى نُضْجُه فَرُطَبٌ ومَعْوٌ ثم تَمْرٌ. وبسطت الكلام في ذلك في الروض المَسلوف فيما له اسمان إلى الألوف» انتهى.

والذي للقاضي عياض(١٢) «درجات النخل سبعة: الطَّلْع، والإغْرِيض، والبَلَح، والبُسْر، والزَّهْو، والرُّطَب، والتَّمر. وهذا مذهب أكثر أهل اللغة. وقوم يجعلون البُسْر بعد الزَّهو(١٣). وهو الذي يستعمله الفقهاء. والزُّهْو: ابتداء طيب ثَمَر النخل واصفراره واحمراره. ويقال فيه: أَزْهى يُزْهي. وجاء في بعض روايات الحديث: يَزْهُو(١٤) وقالوا: لا يصح. وقال أبو زيد(١٥): زَهى وأَزْهى، ولم يعرف الأصمعي أزْهى».

وقد نظمت ما رتبه في القاموس فقلت [من الطويل]:

لقدْ عَدّ في القاموس عَشْراً وواحداً
لأسماء ثَمْر النّخلِ قدْ صَحّ مَحْسُوبُ
فأوّلُهُ طَلْعٌ، سَيابٌ، خَلالُهُ
ويَعقُبُهُ بُسْرٌ، مخطَّمُ، مجنوبُ
مُوكّتُ، مسبوقُ المخطم، قَدْ أتى
على وَفْق ترتيب، ويتلوه تُذنوبُ
جُمَيسَةُ تتلوهُ، وثَعْدَةَ بعدَهُ
كذا رُطَبٌ، تمرٌ، بِه تمّ مطلوبُ

ومجنوب صفة لمخطم لا معدود، وأسقط بغو لكونه في حكم الخَلال.

وقد نظمت ما رتبه القاضي عياض فقلت [من الطويل]:

وأسماء ثمار النّخلِ سبعٌ كماحكى
عياضُ زكى مثوىً، وقدْ صحّ معدودُ
فأوّلُها طَلْعٌ، وإغريضٌ بَعْدَهُ
كذا بَلَحٌ، بُسْرٌ، به طابَ محدودُ
ويَرْدُفُه زَهوٌ، كذا رُطَبٌ حَلى
ويعقُبُه تمرٌ، بِهِ تمّ مقصودُ

وقد نظمت ما رتبه الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله فقلت [من الطويل]:

وأسما ثمار النّخل في العدِّ سبعةً
حكَاها بليغٌ طيّـــبَ اللّهُ مثــــواهُ
فطــلع ، وكافورٌ ، خَلال مـــرتَّبا
كذا بلحٌ ، بســـرٌ وقد طاب حَلـــواه
كذا رُطَـــبٌ تمرٌ به تمّ أمـــرُها
وأهـلُ اللُّغى قالُوه ، لا تَعْدُ فحـــواهُ

تمت الرسالة المفيدة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد واله والحمد لله رب العالمين.

□ □ □

الحواشي :

١ - مراجع ترجمته : الاعلام ٧/ ١٤١، معجم المطبوعات ٢، ١٥٠٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٤١١، ذيل بروكلمان ٢/ ٤٣٦، فهرس المكتبة الظاهرية ٢/ ٢٤٦، فهرس الكتبخانة ٣/ ١٦٦، ٤/ ١٤٤، ٧/ ٢٤٧.

٢ - القاموس المحيط لمجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، من ائمة اللغة، وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. توفي سنة ٨١٧ هـ/ ١٤١٥ م (انظر الضوء اللامع ١٠/ ٧٩، الاعلام ٧/ ١٤٦).

٣ - الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حمّاد الجوهري اللغوي، الإمام المشهور، له مؤلفات عدة، اشهرها الصحاح. توفي سنة ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م (انظر معجم الأدباء ٢/ ٢٦٩، الاعلام ١/ ٣١٣).

٤ - الصحاح: (بلح) ١/ ٣٥٦.

٥ - القاموس المحيط: بلح ٢٧٣.

٦ - القاموس المحيط: (خل) ١٢٨٦.

٧ - هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد المنوفي المعروف بالشاذلي، فقيه محدث لغوي، له عدة كتب، منها: مشفاء العليل في لغات خليل (انظر نيل الابتهاج ٢١٢، معجم المؤلفين ٧/ ٢٢٠).

٨ - القاموس المحيط: (بسر) ٤٤٧.

٩ - في هامش القاموس ٤٤٧: تمامه: ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر. وقوله: «غير جيد» لانه ترك كثيراً من المراتب التي يؤول إليها الطلع بعد حتى يصل إلى مرتبة التمر (ش).

١٠ - في هامش القاموس ٤٤٧: قال شيخنا: ظاهره أنّ ما قاله الجوهري خطأ، وليس كذلك، بل هو خلاف الأولى، لأن غاية ما فيه ترك بعض المراتب التي عدّها أهل النخل في تدريج ثمر التمر، وذلك لا يكون خطأ كما لا يخفى (ش).

١١ - في القاموس (بسر) : جُمْمَة.

١٢ - القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمامها، كان من اعلم النّاس بكلام العرب وانسابهم وأيامهم. توفي سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م (انظر وفيات الأعيان ١/ ٣٩٢، الاعلام ٥/ ٩٩).

١٣ - الزهو: البُسر الملوّن. القاموس (زهو).

١٤ - الحديث: «نهى عن بيع الثمر حتى يُزهي» وفي رواية «حتى يزهو» يقال: زها النخل يزهو إذا ظهرت ثمرته، وازهى يُزهي إذا اصفرّ واحمرّ، وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار، ومنهم من انكر: يزهو، ومنهم من انكر: يُزهي إذا اصفرّ واحمرّ، وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار، ومنهم من انكر: يزهو، ومنهم من انكر: يُزهي (النهاية في غريب الحديث: زها).

١٥ - أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري، احد ائمة الأدب واللغة من اهل البصرة، وهو من ثقات اللغويين. توفي سنة ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م (انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧، الاعلام ٣/ ٩٢).

المصادر والمراجع :

١ - ابن الأثير، مجدالدين، «النهاية في غريب الحديث والاثر»، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناحي: القاهرة.

٢ - ابن خلكان، احمد بن محمد: «وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان»، تحقيق د.: إحسان عباس؛ بيروت: ١٩٧٧ م.

٣ - التنبكتي، احمد بابا، «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، تحقيق: عبدالحميد الهرامة: طرابلس ١٩٨٩.

٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، تحقيق احمد عبدالغفور العطار، القاهرة ١٩٥٦ م.

٥ - الزركلي، خيرالدين، «الأعلام قاموس تراجم»، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٦ م.

٦ - الفيروزابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، «القاموس المحيط»، بيروت: مؤسسة الرسالة؛ ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح

للعبد الفقير ابن الرئيس الغزي المالكي من ذرية العارف
ابن أبي جمرة نفعنا الله به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من أقام به لواء الحق ومجده، وبعد
فهذه رسالة سميتها بتوالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح، دعاني
إلى ذلك ولده [illegible] الولاية، ومن [illegible] العناية ودواعي الرعاية، وقلت
داعيا لجنابه

دام عماد الدين الفضل على ... مر الدهور مولانا [illegible] منح
تجني ثمار الفضل من أشجاره ... رطبا جنيا [illegible] وبلح

وذلك عند ما جرى الكلام في عبارة القاموس وأن فيها تخالفا في [illegible]
وبالله التوفيق فقال في الصحاح: البلح قبل البسر لأن أول التمر طلع
ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر، الواحدة بلحة انتهى، ومؤدى كلام الجوهري
ونحوه قول صاحب القاموس في البلح محركة بين الخلال والبسر انتهى، ومؤدى
كلامهما أن الخلال رتبته سابقة على البلح، ووقع في القاموس في باب اللام ما يخالف
ذلك إذ قال: والخلال كسحاب البلح انتهى، وفيه تجوز، ونقل الشيخ أبو الحسن
الشاذلي في شرح لغات مختصر الشيخ خليل عن أهل اللغة أن رتبته أعني البلح قبل
البسر وبعد الخلال كما هو في الصحاح والقاموس في باب الحاء، وقيده
البسر بضم الباء وهو المتنصف بضم الميم وفتح النون وكسر الصاد المهملة

الصفحة الأولى من المخطوط

المشرقة والحمرة بتمرة بإسكان الشين وضمها فقال أهل اللغة أول ثمر النخل
طلع وكافور ثم خلال بفتح الخاء المعجمة واللام المخففة ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم
تمر انتهى ولم يذكر في القاموس الخلال البلح في باب الزاي [illegible] وما أشكل على [illegible]
[illegible] الجوهري أول التمر طلع ثم خلال [illegible] والصواب
أوله طلع فإذا انعقد فسياب فإذا اخضر واستدار فجدال وسداد وخلال فإذا
كبر شيئا فجيم فإذا عظم فبسر ثم مخطم ثم موكت ثم تذنوب ثم جمسة
ثم ثعدة وخالع وخالعة فإذا انتهى نضجه فرطب ومعو ثم تمر [illegible]
الكلام في ذلك في الروض المعطوف فيما له اسمان إلى ألوف. انتهى
والحاصل أن للفاضل عياض درجات النخل سبعة. الطلع والإغريض والبلح والبسر
والزهو والرطب والتمر [illegible] أهل اللغة [illegible] يجعلون البسر بعد
الزهو [illegible] العلماء الزهو وابتداء طيب ثمر النخل واصفراره واحمراره
ويقال فيه أزهى [illegible] وجاء في بعض روايات الحديث بيع [illegible]
وقال أبو زيد زهى وأزهى [illegible] الأصمعي [illegible]
ما رتبه في القاموس فقلت

- طلع [illegible] القاموس [illegible] الإنساء [illegible] النخل [illegible] .
- [illegible] خلال [illegible] .
- [illegible] النخل [illegible] تذنوب .
- جمسة [illegible] ثعدة [illegible] كذا رطب [illegible] .

[illegible] الخلاف [illegible]
[illegible] ما رتبه الفاضل عياض فقلت

- وأسماء أثمار النخل سبع [illegible] .
- [illegible] طلع والإغريض [illegible] كذا البلح [illegible] .
- [illegible] زهو كذا رطب حلي [illegible] .

وفي [illegible] ما رتبه الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى فقلت

- وأسماء أثمار النخل العشر سبعة [illegible] .
- [illegible] طلع [illegible] كذا البلح بسر [illegible] .
- كذا رطب [illegible] وأهل اللغة [illegible] .

انتهت الرسالة [illegible] بحمد الله وعونه [illegible] والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط